علم الآثار والكتاب المقدس

بقلم "فيليب كلايمر"

كان موضوع الغلاف لعدد 18 ديسمبر 1995 من مجلة "تايم" هو "هل الكتاب المقدس حقيقة أم أسطورة ؟ . يلقى علماء الآثار بالأراضى المقدسة ضوءًا جديدًا على ما حدث ـ وما لم يحدث ـ فى القصص العظيمة التى رُوت على مدار الزمان" . يصف المقال الاكتشافات الأثرية الحديثة فى إسرائيل والمناطق المحيطة ثم يصنف ردود أفعال عامة الناس والعلماء تجاه هذه الاكتشافات إلى ثلاث مجموعات أساسية : "اليهود والمسيحيون المحافظون المتشددون" ، الذين لا يؤمنون بأن أى جزء من الكتاب المقدس قد يكون خياليًا أسطوريًا ، و"الملحدون" الذين يريدون إثبات زيف الكتاب المقدس وفضحه ، و"الأغلبية المعتدلة" الذين يرغبون التأكد بأن الكتاب المقدس مؤسس علميًا على الحق .

إننا كمسيحيين نندرج فى المجموعة التى تسميها مجلة "تايم" مجموعة "المحافظين المتشددين" إذ نؤمن بأن الكتاب المقدس لا يخطىء أبدًا ليس فقط فى المسائل الروحية بل أيضًا فيما يتصل بالأمور التاريخية والجغرافية .

عندما ينقب علماء الآثار فى الأراضى التى ورد ذكرها فى الكتاب المقدس ويصلون لنتائج تتعارض مع أحداث الكتاب المقدس التاريخية كيف ينبغى أن يكون رد فعل المسيحى ؟ إذا قلنا بأننا نقبل كلمة الله بالإيمان مهما كانت مزاعم علماء الآثار أو أى فرع من فروع العلم فقد أتينا بالاجابة الصحيحة . لكن التصريح بمثل هذا البيان بدون أى تفسير آخر قد يُظهرنا على أننا نؤمن إيمانًا أعمى وغير عقلانى بالمقابلة مع الأبحاث العلمية المنطقية . يهدف هذا المقال إلى توضيح أن بينما علم الآثار قد يكون منطقيًا لكنه ليس صحيحًا وأن *الإيمان الذى يقدم الحق يُفضل كثيرًا على أبحاث لا تفعل ذلك* .

من المجموعتين الثانيتين المذكورتين فى المقال نستطيع بسهولة فهم موقف "الملحدين" . إننا نقبل صحة الكتاب المقدس وهم يرفضونها . وكما أشارت المجلة حتى حين يدعم علم الآثار قصة وردت فى الكتاب المقدس فإن الملحدين ساعتها يرفضون العلم وكلمة الله . موقفهم يتصل

بالإيمان بعقيدة ما تمامًا مثل موقفنا لكن موضوع إيمانهم هو أفكارهم . لكن ماذا عن الفئة الثالثة "الأغلبية المعتدلة"؟

كثير من المسيحيين يندرجون تحت هذه المجموعة لأنهم يسرون عندما تدعم الاكتشافات الأثرية جزءًا من الكتاب المقدس وكما تقول مجلة "تايم" : "تقوى موقف الكتاب المقدس من الدقة التاريخية" . لكن إذا أيد عالم من علماء الآثار دقة كلمة الله هل أى حجة علمية تضعف الحق الكتابى ؟ إذا لم يقبل المسيحيون غير الاكتشافات الأثرية التى تتفق مع الكتاب المقدس فهل يُتهمون بالسذاجة والسطحية إذا رفضوا الحقائق المعارضة ؟

محاولة التحقق من صحة الكتاب المقدس من خلال الاكتشافات الأثرية تتوقف على الصراع بين علم الآثار والعقيدة المسيحية فى مسألة "ما هو الحق ؟" . لمزيد من التركيز على هذا الصراع دعونا نواجه مزاعم علم الآثار بسؤال بسيط "كيف تعرف ؟" . تكشف الإجابة على هذا السؤال عن مبادىء تقوم عليها المعرفة والحقيقة التى يسعى إليها العلم والفلسفة والدين .

كبداية علينا أن نعرف أولاً ما هو علم الآثار وما هى مزاعمه . ثانيًا لابد أن نقارن بين المعلومات الأثرية والحق الكتابى . وأخيرًا دعونا ننظر مرة أخرى إلى الصراع الذى تطلق عليه التايم "الواقع ضد الإيمان" .

معلومات أثرية

علم الآثار هو "دراسة علمية لشعوب انقرضت وذلك من خلال بقايا الهياكل العظمية والحفريات وأدوات من صُنع الإنسان (تحف وآثار ونقوش) وُجدت فى الأرض" . علماء الآثار يبحثون وينقبون وسط بقايا الحضارات القديمة ثم يربطون اكتشافاتهم بعضها ببعض ويعملون تصورًا عن حياة شعوب تلك المجتمعات بكل مؤسساتها .

أعظم أثر تتركه أى حضارة ورائها هو الأعمال الأدبية . مجتمعات كثيرة فى الشرق الأوسط القديم تركت كتابات على الحجر (الهيروغليفية فى مصر) أو على ألواح طين طرى تحولت إلى حجر على مر الزمن (مثل البابليين والآشوريين) . يبدو أن قدماء العبرانيين استخدموا الورق أو جلود الحيوانات . بما أن هذه المواد تتحلل فإنه لابد من إعادة كتابة المعلومات الموثقة عليها .

يتفق علماء الآثار بصفة عامة على أن الكتابة الهيروغليفية وألواح الطين أكثر دقة من الورق لأن احتمال صحتها أقوى إذ تقل احتمالات وجود أى خطأ أوتعديل فى ما نقش على الحجر أما الوثائق الورقية فقد أعيد نقلها من الأوراق الأصلية أكثر من مرة .

مقال مجلة "تايم" يقدم عدة أمثلة عن رفض بعض علماء آثار لمخطوطات الكتاب المقدس لمساندة نظرياتهم المؤسسة على قطع أثرية أخرى . سفر "يشوع" ، الأصحاح السادس ، يسجل سقوط أسوار "أريحا" مما أتاح لبنى إسرائيل بقيادة "يشوع" الاستيلاء على المدينة . تخبرنا "تايم" أنه بعد عدة حملات تنقيب مكثفة فى موقع مدينة "أريحا" القديمة توصل علماء الآثار إلى أن ذلك الموقع صار مهجورًا بين 1500 - 1100 ق. م. كما يرون أنه لم يوجد فى ذلك المكان أى مدينة محاطة بأسوار فى ذلك الزمان فى "كنعان" . يختلف مفسرو الكتاب المقدس المحافظون وعلماء الآثار على تاريخ دخول بنى إسرائيل "كنعان" لكنهما يتفقان على أن سقوطها يقع فى النطاق الزمنى السابق ذكره . نظرًا لهذ التسلسل الزمنى فإن علم الآثار الحديث يستنتج أن العبرانيين ارتحلوا إلى أرض شاغرة أو ذات كثافة سكانية منخفضة . لكن لا يفترض هذا الفكر أى أسوار سقطت أو أى مدينة وقعت . ويتمادى المتشككون أيضًا لدرجة أنهم يشكون فى وجود "يشوع" أصلاً . فبدون معركة من يحتاج إلى قائد ؟ هيا بنا الآن لنطرح السؤال الاختبارى : كيف يعرفون أن "أريحا" وأسوارها كانت غير موجودة فى هذه الفترة الزمنية ؟

كما يمهد مجتمعنا شوارع جديدة فوق الشوارع القديمة ويبنى مبان حديثة فوق بقايا أساسات قديمة هكذا بنت الحضارات القديمة بلادًا ومدنًا فوق بقايا هياكل أقدم . عندما ينقب علماء الاثار فى موقع ما يقسمونه إلى مستويات مختلفة ، كل مستوى أو طبقة تتماشى مع حقبة زمنية معينة لسكن الإنسان فى ذلك المكان أو رحيله عنه . الطرق التى يحددون بها زمن مستوى معين طرق متخصصة للغاية وأى تفسير مفصل لها يتعدى نطاق هذا المقال .

لكى يكون لديك فكرة عما يحدث تخيل عالم آثار فى المستقبل ينقب فى حضارتنا فيعثر على أطباق خزفية تصل إلى مستوى معين ، ويجد فوق هذا المستوى أطباقًا بلاستيكية وخزفية . افترض أنه وجد أيضًا نوعًا من التقاويم للخمسينات مع الأطباق البلاستيكية ، إذن فقد امتلك مفتاح التأريخ : التقويم والأطباق البلاستيكية . ويستدل من هذا المفتاح أن الأطباق البلاستيكية فى الموقع الذى ينقب به لم تستخدم قبل الخمسينات . إذا وجد أطباقًا بلاستيكية أخرى فى أى موقع آخر سيفترض أن المستوى الذى وجدها فيه كان مسكونًا فى الخمسينات أو ما بعدها .

عثر العلماء فى "أريحا" على بعض القطع الأثرية (غالبًا أوان فخارية) فى مستوى معين سمح لهم بتقدير تاريخ هذا المستوى إلى 1500 - 1100 ق.م. استنادًا على "مفتاحهم" وهو قطع أثرية مشابهة فى مواقع أخرى . لكن لم يحتوى هذا المستوى على بقايا أو أساسات أسوار أو أى هياكل أخرى قد تشير إلى مدينة ما . كيف نفسر هذا التناقض مع ما ورد فى الكتاب المقدس ؟ أقرب مخطوطة تاريخيًا من سفر "يشوع" يرجع تاريخها إلى مئات السنين بعد أحداث هذا السفر. يرى المتشككون أن هذه المخطوطة تم استنساخها من مخطوطة أصلية وبالية وربما عدل فيها ناسخ متعصب يسعى إلى تعظيم اسم إلهه وتاريخ أمته باختراع حرب لم تحدث فى الواقع وقائد ليس له وجود .

نشر علماء الآثار الذين نقبوا فى "أريحا" نظريتهم ، ودار جدال كثير حولها وفى النهاية قبلها معظم علماء الآثار . حتى يتم اكتشاف أدلة جديدة فإن علم الآثار الحديث قد وصل إلى نتيجة وهى أن استيلاء بنى إسرائيل على "كنعان" كما جاء فى سفر "يشوع" ليس حقيقيًا ولم يحارب "يشوع" فى معركة "أريحا". هذه حقيقة أثرية أو إذا أردنا الدقة اختبار أجراه علماء الآثار على قصة كتابية لكن فشل الكتاب المقدس فى الاختبار .

اعترض دارسو الكتاب المقدس المتشددون لكن اعتراضاتهم ضعيفة التأثير لأنهم يحاولون إثبات صحة الكتاب المقدس بدلاً من النظر إليه بطريقة موضوعية ـ أو هكذا يقول العلماء . إذا كان الانحياز الدينى هو المشكلة فربما نستطيع إثبات حياد علم الآثار فى إعادة بناء الحضارات القديمة بفحص موقع عملوا به وليس له أى دلالة دينية ونقب فيه عدد كبير من العلماء . فى هذه الحالة لن يكون هناك متشددون ليلوثوا أذهان العلماء الصافية . يوجد أمثلة لمواقع عديدة ربما أشهرها هو "طروادة" .

البحث عن طروادة

فى حوالى 800 ق.م. كتب شاعر إغريقى أعمى اسمه "هوميروس" أول (وربما أعظم) قصيدة شعرية فى الأدب الأوروبى : الإلياذة . يحكى هذا العمل الملحمى عن حرب كبيرة وقعت قبل ذلك الزمان بأربعمائة سنة بين عدد من المدن الإغريقية ومدينة "طروادة" القوية الغنية الواقعة على ساحل آسيا الصغرى (تركيا اليوم) . ربما يتذكر القارىء بعض تفاصيل هذه القصة . "هيلين" ملكة "إسبرطة" خطفها "باريس" أمير "طروادة" وأخذها إلى بلدته . فثارت المدن

الإغريقية وجمعت جيوشها وأبحرت إلى "طروادة" وحاصرت المدينة عشرة أعوام . لم يتمكنوا من اختراق أسوار "طروادة" الحصينة فلجأوا فى نهاية الأمر إلى الحيلة . عملوا تمثالاً خشبيًا ضخمًا ، حصان "طروادة" الشهير وأدخلوه خلسة . فانفتحت البوابات على مصراعيها ووقعت المدينة . وقع من عاش من أهل "طروادة" فى الأسر وصاروا عبيدًا و"طروادة" نفسها أحرقت ودُمرت . عاد الإغريق المنتصرون إلى بلادهم ومعهم "هيلين" الجميلة سبب كل تلك الأحداث "الوجه الذى جعل ألف سفينة تبحر فى المياه" .

دار جدال كثير بين الباحثين حول الإلياذة منذ العصر الومانى . ترى هل تصف حربًا حقيقيًا أم هى مجرد أسطورة ؟ إذا كانت هناك حرب فعلاً فما مدى دقة "هوميروس" فى سرد وقائعها ؟ بدأ علم الآثار الحديث الجدال مرة أخرى فى منتصف القرن التاسع عشر وطوال المائة وأربعين سنة الماضية قام العلماء ، فريق وراء فريق ، بالتنقيب فى موقع مهجور الآن ويقع على ساحل "تركيا" . تحولت اكتشافاتهم الضخمة والهائلة إلى برنامج وثائقى فى التليفزيون الوطنى باسم "البحث عن حرب طروادة" *In Search of the Trojan War* . يرى هذا البرنامج أن الموقع المحتمل أن يحتوى على بقايا "طروادة" احتله البشر طوال خمسة آلاف عام ويضم خمسين مستوى منفصل ، تسع منها تظهر سمات مدن حقيقية أى أسوار وقصور... إلخ . تسع مستويات تبين أيضًا دلائل دمار عنيف حدث سواء بسبب حرب أو كارثة طبيعية كزلزال مثلاً .

وماذا عن "طروادة" التى حكى عنها "هوميروس" ؟ أى مستوى ، إذا وُجد ، يتماشى مع مدينة الإلياذة العظيمة ؟ هل حرب "طروادة" وقعت فعلاً ؟ قرن ونصف من البحث العلمى الحديث ، بعيدًا عن أى انحياز أو تدخل دينى ، أعطى ردًا جديدًا لكل باحث جديد . الحقيقة الأثرية عن "طروادة" تتغير مع كل جيل من علماء الآثار . المنقب الأصلى "أثبت" أن الإلياذة كانت دقيقة كما يؤمن المسيحيون بدقة الكتاب المقدس . فريق أثرى أحدث رفض أغلب استنتاجاته و"أثبت" أن "هوميروس" بالغ بدرجة كبيرة ، هذا إن قال الحقيقة أصلاً . جيل تال من العلماء "أثبت" أن زلزالاً هائلاً دمر "طروادة" وجاء القراصنة لينهوا المهمة ، وهكذا . النقطة الوحيدة التى يتفق عليها الخبراء هى أن الموقع كان مأهولاً بالسكان لآلاف السنين وهو مهجور الآن . لكن ماذا عن التقنيات المتطورة لتأريخ القطع الأثرية ومستويات المناطق التى كانت مسكونة ؟ كل قطعة أثرية تم العثور عليها وضعت فى قوائم من قبل الفريق الذى اكتشفها . كل عالم آثار مدرب تدريبًا عاليًا يدرس تلك القوائم وربما يقوم ببعض عمليات التنقيب ثم يأتى بتفسير مختلف حول سبب وجود هذه القطع فى ذلك المكان .

المعلق على البرنامج الوثائقى يأخذنا فى جولة وسط هذه النظريات المختلفة تستمر ست ساعات يقوم فيها بتحليل كل نظرية . وفى النهاية يقدم هذه الملاحظة المدهشة على بحث الأثريين عن حقيقة حرب "طروادة" : "لن يوجد أبدًا كلمة نهائية ، فقط تفسير جديد لكل جيل فيما يخص أحلامه واحتياجاته" . هذا هو "الدليل" و"المعرفة" و"الحقيقة" التى يعطيها لنا العلماء "لن يوجد أبدًا كلمة نهائية ، فقط تفسير جديد..."

تعلم دائمًا... لن تستطيع أبدًا

لنعد إلى حملات التنقيب الأثرية فى مواقع الكتاب المقدس ونراجع قضية "يشوع" وحرب "أريحا" . الرأى العلمانى الحالى يقول أنه لم تحدث حرب هناك ولم توجد أسوار قط . البرهان هو الأوان الفخارية على حد قولهم . لكن الكلمة الأخيرة لعلماء الآثار لم تأت بعد ولن تأت . إننا لا نقصد وضع خاتمة لدفاع متحيز عن كلمة الله بل نود إظهار قدرة وسائل علم الآثار المحدودة كما اتضح فى البحث عن "طروادة" .

قد يظن المتشككون أننا نتلاعب بالكلام للوصول إلى هذه النتيجة وربما يقولون أن النظرية الحالية "عدم وجود أسوار فى أريحا" صحيحة فعليًا وأن حملات التنقيب التى ستأتى بعد ذلك إلى المنطقة ستدخل تعديلات طفيفة على تلك النظرية . قد يخطىء هؤلاء المتشككين فى هذه الناحية ، لأن فى علم الآثار قد تنقلب رأسًا على عقب أى نظرية مهما بلغت درجة ثبات جذورها . ومقال مجلة "تايم" يقدم لنا مثالاً مشابهًا .

تشكك عدة علماء علمانيين فى وجود الملك "داود" لأن لا وجود لأى ذكر له منذ فترة توليه الحكم (التاريخ التقليدى 1025 - 985 ق.م.) . كما حدث مع "يشوع" والاستيلاء على "كنعان" تشكك هؤلاء العلماء وقالوا ربما أضاف ناسخ قصة "داود" وهو يعيد نسخ الوثائق فى تاريخ لاحق كمحاولة لـ"تحسين" صورة تاريخ "إسرائيل" . لكن فى "إسرائيل" الحديثة فى 1993 تم اكتشاف كتابة منقوشة على حجر يرجع تاريخها إلى 900 ق.م. تقول "بيت داود" و"ملك إسرائيل" . هذه الكتابة كانت كافية لتحول الرأى المتشكك إلى النقيض : يقبل العلماء الآن بصفة عامة فكرة وجود "داود" الملك .

قطعة أثرية وكتابة محفورة على صخر من 1200 ق.م. تخلد ذكرى انتصار "يشوع" على أسوار "أريحا" المنيعة ستغير بالمثل نظرية العلماء عن استيلاء العبرانيين على "كنعان" وتقلبها رأسًا على عقب . تُرى هل لهذه القطعة الأثرية وجود ؟ من يعلم ؟ لكن ما يحدث حقيقى فعلاً وهو أن الحقيقة الأثرية بشأن "يشوع" و"أريحا" لن تكون كما هى بعد خمسين سنة من الآن ولم تكن كما كانت منذ خمسين سنة .

قد يشكك القارىء فى مسألة أن حقيقة أى حدث ماض يتغير كل خمسين سنة . كيف تتغير حقيقة الماضى ؟ من الواضح أنها لا تتغير أبدًا . فلدينا سردًا كتابيًا لـ"يشوع" وبنى "إسرائيل" يغزون "أريحا" ذات الأسوار الحصينة . إما تلك الواقعة حدثت فعلاً أو لم تحدث . وهذا ينطبق على أى حدث لدينا سجل عنه . أبحر الإغريق إلى "طروادة" ليستردوا "هيلين" أو لم يبحروا . نظريات علم الآثار الحديث لا تغير ذرة من التاريخ لأنه حدث بالفعل ، فهو أمر خارج عن سيطرتهم فلا يستطيعون إعادة تلك الوقائع أو استردادها . حتى لو وضع عالم من العلماء افتراضًا دقيقًا لتفسير حرب "طروادة" أو "يشوع" وحرب "أريحا" فلن يتمكن أحد من تحديد مدى دقته لأن ما من أحد يستطيع العودة إلى الماضى واختبار ذلك الافتراض .

ربما يبدو كل هذا أمرًا أساسيًا لكنه يبين أن الأبحاث الأثرية تعجز دائمًا عن امدادنا بالحقيقة التاريخية وليس من حين لآخر . لم توضع نظرية افتراضية للتاريخ مستندة على أبحاث أثرية ثبتت صحتها أو من الممكن اثبات صحتها . ستستمر النظريات تتدفق من أذهان علماء الآثار لكن لا يمكن اثبات صحة أى منها ومن الطبيعى أن هذا الاستنتاج ينطبق على السجلات الكتابية أيضًا . فإننا لا نعلم إذا كانت الألواح الطينية للأشوريين أو للحيثيين حقيقية أم لا ولن نستطيع معرفة ذلك أبدًا . نفس الشىء ينطبق على الهيروغليفية المصرية وحتى على صديقنا "هوميروس" فهو روى قصة جميلة جدًا لكننا لن نعرف إذا كان "أخيل" أو "هكتور" حاربا خارج أسوار "طروادة" الذهبية إلا عندما يرسل الله لنا خبرًا بذلك .

الحق الكتابى

لا نعرف من الناحية العلمية مدى صحة الكتاب المقدس ولن نستطيع معرفة ذلك . لكن هذا بالطبع لا ينقص من قدر سلطان كلمة الله لسببين : الكتاب المقدس يثبت صدقه بنفسه والعلم لا يستطيع أن يثبت صحة أى شىء .

يعلمنا الكتاب المقدس أن الله منذ الأزل قد سبق وحدد كل شيء وكل شخص وكل فعل وكل وقت . ولقد نفذ خطته الأبدية بواسطة روحه وكلمته وخلق الكون والزمان . بما أنه هو خالق كل الأشياء ، بما فيها الزمن ، فهو يقف خارج الزمن وبذلك لا يتغير مطلقًا . عندما أوحى إلى الأنبياء والرسل بكتابة هذا الجزء من مخططه الأزلى والذى اختار أن يعلنه لنا ، أرشدهم لكتابة كلمته **التى لا تتغير أبدًا** واصفين مخططه **الذى لا يتغير أبدًا** . فيما يخص الماضى كيف يتخيل أى شخص تاريخًا له سلطان أكبر من كلمة ذاك الذى حدد ذلك التاريخ ثم سمح له بأن يصبح ماضيًا ؟

لنعد إلى "يشوع" و"أريحا" مرة أخيرة ونطرح نفس السؤال ـ الذى طرحناه للنظرية الأثرية ـ للسرد الكتابى . كيف نعرف أن سرد الوحى الإلهى لحرب "أريحا" حقيقى ؟ لأن الكتاب المقدس قال ذلك . فلا نظرية افتراضية ولا تخمين ، مجرد الحقيقة من إله الحقيقة الذى لا يعرف فقط ما حدث فى "أريحا" لكنه أيضًا سبق وحدده وجعله يحصل . إذا تشككت فى صدق أى حدث تاريخى فى الكتاب المقدس فأنت تشكك فى طبيعة الله نفسه .

"الأغلبية المعتدلة" سترفض الحجة السابقة وتنظر إليها على أنها مراوغة وذات تفكير يدور فى دائرة لا تنتهى وغير عقلانية ومخادعة ومبهمة . وستقول أنه من الخطأ بكل بساطة أن نؤمن بصدق الكتاب المقدس فى الحوادث التاريخية لأنه يقول أنها وقعت . يجب التأكد من "صحة" الكتاب المقدس نفسه لكن ما الشيء الذى من الممكن أن يصحح الكتاب المقدس ؟ ما المعيار الذى يستخدمه المعتدلون للحكم على الكتاب المقدس ؟ ربما تزودنا وسائل علماء الآثار فى البحث بكم هائل من المعلومات عن ـ أو على الأقل بكميات هائلة من ـ الأوانى الفخارية والرماح التى كان يستخدمها بنو إسرائيل وعلينا احترام تلك المعلومات والعلماء الذين يعملون جاهدين لاستخراج ودراسة هذه القطع الأثرية . لكن أى نظرية يستنبطوها بشأن أى جزء من التاريخ الكتابى تعد نظرية تجريبية وغير مؤكدة . لا يستطيع المرء التأكد من صحة أى رواية بنظرية خاطئة . لا تستطيع "الأغلبية المعتدلة" اختبار الوقائع التاريخية الكتابية بمنهج علمى وحيث أنه لا يوجد حاليًا امكانية أخرى للتأكد منها فإما يقبلون بالإيمان ما يحكيه الكتاب المقدس أو يرفضونه بلا سبب معقول .

قد يتساءل القارىء لماذا اقتصر هذا الحديث عن علم الآثار والكتاب المقدس على العهد القديم ولماذا لم يُدرس موضوع المعجزات على نطاق أوسع ؟ بعيدًا عن قيود الزمان والمكان سنذكر سببين . هناك قبول عام لمخطوطات العهد الجديد الآن حتى بين المتشككين (لم تكن مقبولة منذ عدة أجيال على أنها مخطوطات أصلية لكن جاء أحدهم بنظرية جديدة وها هى مقبولة الآن). لا يؤمن المتشككون بما فى بطون المخطوطات لكنهم فى الوقت الحالى يقبلون بأنها ترجع إلى العصر الرسولى . ثانيًا ، الوسائل التى يستخدمها علماء الآثار فى البحث لا تستطيع أن تزودنا بنظرية حقيقية لأى حدث بأنه ليس معجزة . ومع هذا الفشل كيف يستطيع الأثريون صياغة تبريرات وتعليقات ذات درجة كبيرة من المصداقية على أى واقعة تاريخية كتابية تحتوى على معجزة مثل الأناجيل ؟

الواقع ضد الإيمان

مفهوم "الواقع ضد الإيمان" كما طرحته مجلة "تايم" يُرى الآن بكل سذاجته . من يختبر صحة أى حادثة تاريخية كتابية بواسطة نظرية من نظريات علم الآثار كمن يختبر شيئًا غير ممكن أن يكون خطأ بواسطة شىء غير ممكن أن يكون صحيحًا . إنها ذروة السذاجة .

الكتاب المقدس هو الوسيلة الوحيدة التى يُعلن بها الله لشعبه خطة الفداء التى رسمها . ومادام الأمر كذلك فهى تتعلق بالأمور الروحية وعندما نقرأه علينا أن نهتم بالمعرفة الروحية التى يحتويها . لكن الفداء معلن بكل وضوح على مستوى العالم المرئى والتاريخ . ولا نستطيع تقدير ـ بصورة كاملة ـ أبعاد وعظمة خطة الله للفداء إذا أهملنا المسرح الذى تقدم عليه الآن . لا يجب أن نستهن بمن ينكر دقة التاريخ الكتابى من علماء الآثار المعاصرين وإذا لم نعلن الحق الكتابى فيما يخص "يشوع" وأريحا" و"داود" الملك أو أى حادثة كتابية فسيقع علينا ذنب عدم الإعلان عن "مشورة الله الكاملة" . لقد وقعنا بين أنياب معركة الحق لذا دعونا نطلب من الله الصبر والشجاعة لنستكشف طريقنا خلالها .

عندما زار الفتى "داود" إخوته فى أرض المعركة سمع "جليات" يعاير "إسرائيل" فشعر بالمهانة وسأل "من هو هذا الفلسطينى الأغلف حتى يعير صفوف الله الحى ؟"
(صموئيل الأول 17 : 26) . وتبرع "داود" على الفور بمواجهة "جليات" وذبح ذلك المجدف.

كان على "داود" محاربة أعداء "إسرائيل" عسكريًا . لكن حربنا ضد أعداء المسيح حرب روحية وذهنية لكنها كالحقيقية تمامًا بل وأشد خطرًا . كمسيحيين لابد أن نتخذ موقفًا غاضبًا إزاء علم الآثار المتشكك الذى يبلع كلمة الله العلى . من هؤلاء الأثريين الذين يظنون أن بامكانهم دحض الوحى الإلهى بقطعة من إناء خزفى مكسور خارج من الطين ؟ من هؤلاء "الأغلبية المعتدلة" الذين واتتهم الجرأة للتصريح بأن هناك أجزاء من الكتاب المقدس "منطقية" وصالحة للتصديق ؟ لنحرص على مواجهة مارد علم الآثار كما حرص "داود" على مواجهة البطل الفلسطينى . نعرف من كلمة الله أن خلال الصراع الدائر بين كلمة الله الأبدية والنظريات العلمانية سيحطم الله كل الحجج والخيالات المعادية للمسيحية تحت أقدامنا .

"أليست كلمتى كنار يقول الرب وكمطرقة تحطم الصخر ؟" (إرميا 23 " 29)

"فيليب كلايمر" كاتب حر يعيش بـ"كاليفورنيا" .

نشر هذا المقال لأول مرة بمجلة Trinity Review ، عدد رقم 170 ، أبريل 1999